

الدرس الثاني عشر :

الدين النصيحة

روى مسلم في صحيحه ، عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
«الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة» . قال تميم : قلنا : لمن ،
يا رسول الله؟ قال : « الله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم» ^(١) .

أهمية هذا الحديث :

هذا الحديث الوجيز البليغ أحد الأحاديث التي يدور عليها الإسلام . قال محمد
ابن أسلم الطوسي : إنه أحد أرباع الدين . وروى مثل ذلك عن أبي داود .

معنى الدين النصيحة :

«الدين النصيحة» : أي الركن الأعظم في الدين هو النصيحة ، كما يقال :
«الحج عرفة» ^(٢) ، و«الندم توبة» ^(٣) ، أي الركن الأعظم في الحج هو الوقوف بعرفة ،
والركن الأعظم في التوبة هو الندم ، والركن الأعظم في الدين هو النصيحة .

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥) ، وأحمد (١٩٦٤٠) ، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤) ، والنسائي في
البيعة (٤١٩٧) ، عن تميم الداري .

(٢) رواه أحمد (١٨٧٧٤) ، وقال مخرّجوه : إسناده صحيح ، وأبو داود في المناسك (١٩٤٩) ،
والترمذي في الحج (٢٩٧٥) ، وقال حديث حسن صحيح ، والنسائي (٣٠١٦) ، وابن ماجه
(٣٠١٥) ، كلاهما في المناسك ، عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي .

(٣) رواه أحمد (٤٠١٢) ، وقال مخرّجوه : صحيح وهذا إسناد قوي ، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٢) ،
والطيالسي (٣٨١) ، والبزار (١٩٢٦) ، وأبو يعلى (٤٩٦٩) ، وابن حبان في الرقائق (٦١٢) ،
والطبراني في الصغير (٨٠) ، وفي الأوسط (١٠١) ، والحاكم في التوبة والإنابة (٢٤٣/٤) ،
والبيهقي في الشعب باب معالجة كل ذنب بالتوبة (٧٠٢٥) ، وفي الكبرى كتاب الشهادات
(١٥٤/١٠) ، عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٢٩) .

ما معنى النصيحة ؟

النصيحة والنصح كلمة تقارب معنى الإخلاص ، يقال : نصح الذهب . إذا خلص من الزيف . ونصحت التوبة : إذا خلصت من شوائب التردد في الرجوع إلى المعصية . ولهذا تفسر بمقابلها وتفهم على هذا النحو . . . فيقابل النصيحة والنصح : الغش ، فالإنسان إما ناصح وإما غاش ، والمسلمون قومٌ نَصَحَةٌ بعضهم لبعض ، والمنافقون قوم غَشَّةٌ بعضهم لبعض .

النصيحة كلمة جامعة يراد بها : إرادة الخير للمنصوح له ، قولاً وعملاً ، والقيام بوجوه الخير له إرادةً وفعلاً .

لمن تكون النصيحة ؟

والنبي ﷺ يريد أن تكون العلائق قائمةً على النصح والإخلاص والصفاء ، لا على الغش ، ولا على الخداع ، ولا على الزور .

ولهذا سأل الصحابة حينما سمعوا هذه الكلمة : «الدين النصيحة» ، أحبوا أن يعرفوا من الذين تكون لهم النصيحة؟ ولمن يكون النصح؟ فأخبر النبي ﷺ : أن النصيحة لكل من بينه وبين الإنسان علاقة مادية أو معنوية .

كيف تكون النصيحة لله ؟

فأول ما تكون النصيحة لله تعالى : أن يكون ما بين الإنسان وبين الله عامراً بالإخلاص ، لا بالغش ولا بالرياء ، أن تنصح لربك وتخلص له ، فتأتمر بأمره ، وتنتهي بنهيه ، وتقف عند حدّه ، وتحب فيه وتبغض فيه ، وتسالم له وتحارب له ، فأوثق عرى الإيمان : «الحب في الله والبغض في الله»^(١) ، وفي الحديث : «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ ، وَأَعْطَى اللَّهَ ، وَمَنَعَ اللَّهَ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(٢) .

(١) قال رسول الله ﷺ : «أوثق عرى الإيمان : الحب في الله عز وجل والبغض في الله» ، رواه أحمد (١٨٥٢٤) ، وقال مخرّجه : حديث حسن بشواهد ، وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث ، والطيالسي (٧٤٧) ، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٩) ، والبيهقي في الشعب باب مباحة الكفار والمفسدين (٩٥١١) ، عن البراء ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وفيه ليث ابن أبي سليم وضعفه الأكثر (٢٦٧/١) ، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٣٠٣٠) .

(٢) رواه أبو داود في السنة (٤٦٨١) ، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٨٧٥) ، والطبراني في الأوسط (٩٠٨٣) ، وفي الكبير (١٣٤/٨) ، وفي مسند الشاميين (١٢٦٠) ، عن أبي أمامة ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه صدقة بن عبد الله السمين وضعفه البخاري وأحمد وغيرهما ، وقال أبو حاتم : محله الصدق ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٠) .

وأولئك الذين يراءون الناس في أعمالهم ، ولا يقومون بالعمل إلا إذا كان الناس يرونهم أو يسمعون بهم ، فإذا خلوا إلى أنفسهم ارتكبوا الموبقات المهلكة ، واقتروا الآثام المردية ، أولئك هم المنافقون : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي يُرَأَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٤٢) .

النصيحة للرسول ﷺ :

ثم يلي المبدأ الأول وهو (النصيحة لله) مبدأ ثانٍ وهو : (النصيحة لرسوله) .
فإن رسول الله هو مُمَثِّلُ الإرادة الإلهية ، ومبعوث العناية الربانية ، إنه حين يأمر وينهى لا يُمَثِّلُ نفسه ، وإنما يُمَثِّلُ مَنْ أَرْسَلَهُ ، وصدق الله العظيم إذ يقول :
﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم: ١-٤) .

فلا عجب أن تكون طاعة هذا الرسول طاعةً لله ، واتباعه محبةً لله ، وبيعته مبايعةً لله .

قدر الرسول الكريم ﷺ :

اسمعوا قول الله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (الفتح: ١٠) ، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١) ، ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ (النساء: ٥٩) ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧) .

إن الله قرن محبة رسوله بمحبته ، وطاعة رسوله بطاعته ، وبيعة رسوله ببيعته . . . هذا ليعلمنا عن قدر هذا الرسول الكريم ﷺ ، وأن مَنْ أَحَبَّ رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ .

وقد جاء في حديث أنس ، الذي رواه البخاري : « ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يَحِبُّهُ إِلَّا

الله عز وجل ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»^(١).

كيف تكون النصيحة للرسول ﷺ ؟

النصيحة لرسول الله تكون باتباع سنته ، وإحيائها ونشرها في الناس ، وخصوصاً ما مات من السنن ، فمن أحيا سنة ميتة فله الجنة ، وفي الحديث : « بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » . قيل : ومَن الغرباء ، يا رسول الله ؟ قال : « الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي ، ويحيون ما أمات الناس من سنتي »^(٢).

النصيحة لكتاب الله :

والمبدأ الثالث في النصيحة : هو (النصيحة لكتاب الله عز وجل) ، أي : الإخلاص لهذا القرآن العظيم ، الذي أنزله الله شفاءً لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، والذي أنزله الله ليُصحَّح ما اعوجَّج من الحياة ، ويُصلح به ما فسد ، ويُنور به ما أظلم ، ويهدي به للتي هي أقوم ، فهو قانون السماء لهداية الأرض ، ودستور الخالق لإصلاح الخلق ، لا يضلُّ مَنْ اهتدى به ، ولا يعوجُّ فيقوم ، مَنْ علم علمه سبق ، ومَنْ قال به صدق ، ومَنْ حكَّم به عدل ، ومَنْ عمل به أجر ، ومَنْ دَعَا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

كتاب الله ، وحبل الله المتين ، ممدودٌ بينكم وبين ربكم ، فمَنْ أمسك بهذا الحبل القوي ، وتعلَّق بهذه العروة الوثقى ، لا انفصام لها ، فإنه واصل بهذا الحبل إلى الجنة . . . لأن منتهاها الجنة . . .

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٢١) ، ومسلم (٤٣) ، كلاهما في الإيمان ، كما رواه أحمد

(١٢٠٠٢) ، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٤٩٨٨) ، وابن ماجه في الفتن (٤٠٣٣) ، عن أنس .

(٢) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠) عن عمرو بن عوف ، وقال : هذا حديث حسن ، والطبراني في

الكبير (١٦/١٧) ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٩٢) . وسيأتي شرحه ص ٢١٣ .

كيف تكون النصيحة لكتاب الله ؟

النصيحة لكتاب الله ، أن نعمل به ، وأن نتبع هداه ، وأن نقبس من سنّاه ، وأن نصدّق شرائعه ، وأن نتأدّب بأدابه ، ونَتخلّق بأخلاقه ، كما كان رسول الله ﷺ ، حيث سئلت السيدة عائشة عن خُلقه ، فقالت : « كان خلقه القرآن »^(١) ، وفي رواية عن أبي الدرداء : « كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه »^(٢) .

كان عليه الصلاة والسلام مُفسراً لهذا القرآن بقوله وعمله . . .
كان مُصحفاً حياً يمشي على الأرض ، وقرأنا يراه الناس بأعينهم أعمالاً ، وواقعاً معيشاً في حياة الناس ، لا مجرد أَلْفَاظ تُتلى ، ولا أقوال يُلوکها اللسان .
تدبّر كتاب الله وفهمه :

ومن معاني النصيحة لكتاب الله ، أن نتدبّره ، ونتفهّم ما أنزل الله فيه من معانٍ وأسرار تُصلح الحياة ، وتُصلح الأفراد والمجتمعات .

إنّ الله تعالى عاب على قوم أغلقوا قلوبهم عن نور هذا القرآن ، فلم يتدبروه ، فقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد: ٢٤) ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢) ، ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: ٢٩) .

هذا الكتاب هو نور الحياة للناس جميعاً ، في كل عصر وفي كل مصر ، ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم: ١) .

(١) رواه أحمد (٢٥٣٠٢) ، وقال محققوه : حديث صحيح على شرط الشيخين ، وابن ماجه في الأحكام (٢٣٣٣) ، وأبو يعلى (٤٨٦٢) ، وابن خزيمة في الصلاة (١١٢٧) ، والحاكم في التفسير (٤٩٩/٢) ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب باب حب النبي (١٤٢٥) ، عن عائشة .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٧٢) ، وفي معجم الشاميين (١٢٠٢) ، والبيهقي في الشعب باب حب النبي (١٤٢٨) ، عن أبي الدرداء .

النصيحة لأئمة المسلمين :

ثم النصيحة بعد ذلك لأئمة المسلمين . . . لرؤسائهم وحكامهم وولاة أمرهم ، تنصح لهم ، تبغي لهم الخير ، ترشدهم إلى الهدى ، تدلهم على الحق ، لا تخشى في الله لومة لائم .

فمن فعل ذلك فقد قام بحق النصيحة .

يقول النبي ﷺ ، فيما رواه مسلم : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخط لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ، وأن تناصحوا من ولأه الله أموركم »^(١) .

الفرق بين النصيحة والفضيحة :

وليس معنى النصيحة هي الفضيحة ، فقد قال السلف : إن النصيحة بينك وبين أخيك في السر نصيحة ، أما التشهير على ملأ الناس فهي فضيحة^(٢) .

فالنصح أن تدلَّ الشخص على الخير . . . وأن ترشده إلى الحق ، كما كان عمر ابن الخطاب يطلب إلى الناس أن ينصحوه ويقول : مرحباً بالناصح أبداً الدهر ، مرحباً بالناصح غدواً وعشياً^(٣) .

ابن الخطاب أنموذج في قبول النصيحة :

وكان عمر رضي الله عنه يقول على المنبر : « رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي »^(٤) ، وكان يقول لحذيفة بن اليمان الخبير بالمنافقين ، والذي اختص بسرِّ المنافقين ، وعرفه

(١) رواه مسلم في الأفضية (١٧١٥) ، ولم يذكر : « وأن تناصحوا من ولأه الله أموركم » ، وأحمد (٨٧٩٩) ، وقال مُخرَّجوه : إسناده صحيح ، وابن حبان (٣٣٨٨) وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرطهما ، والبيهقي في الكبرى كتاب قتال أهل البغي (١٦٣/٨) ، عن أبي هريرة .
(٢) قال الشافعي : من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه . رواه أبو نعيم في الحلية (١٤٠/٩) .

(٣) رواه الطبري في التاريخ (٥٧٩/٢) .

(٤) انظر : سنن الدارمي (١٦٦/١) .

الرسول ﷺ بهم ، كان عمر يقول له : يا حذيفة ، بالله عليك ، أتجدني منهم؟! فيقول له حذيفة : لا يا عمر ، ولا أزرِّي أحداً بعدك^(١). أي : لا يريد أن يفتح هذا الباب حتى لا يكشف الأسرار .

عمر بن الخطاب . . . يريد أن يطمئن على نفسه ، أهو من المنافقين أم من غير المنافقين؟!

وقال له رجلٌ مرة : اتق الله يا ابن الخطاب . فضاقت بعض الحاضرين بهذا ، فقال عمر : دعوه ، والله لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها .
النصيحة لعامة المسلمين :

ثم النصح لعامة المسلمين بعد ذلك كله . . . أي لجماهير المسلمين ، عليك أن تنصح لكل مسلم ، ولا تغشه ، في أيِّ علاقة بينك وبينه ، معنوية كانت أو مادية ، كن ناصحاً لأخيك المسلم ، فهذا من صفات الأنبياء الذين كانوا لقومهم ناصحين ، كما قال نوح لقومه : ﴿ أٰبٰلِغُكُمْ رِسٰلَتِ رَبِّيْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ مَّنْ أَلٰهٍ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴾ (الأعراف: ٦٢)، وكذلك قال هود لعاد : ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أٰمِيْنٌ ﴾ (الأعراف: ٦٨)، وكذلك قال صالح لثمود : ﴿ أٰبَلِّغُكُمْ رِسٰلَةَ رَبِّيْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِن لَّا تُحِبُّوْنَ اَلنَّاصِحِيْنَ ﴾ (الأعراف: ٧٩).

وما أكثر الذين لا يحبون الناصحين!!

إنَّ على المسلم أن ينصح لأخيه المسلم ، ولا يغشه في أمر من الأمور ، ولو كان في ذلك خسارة في دنياه ، وضرر له شخصي ، عليه أن ينصح له ، فعلى التاجر أن يفرح لما فرح به المسلمون ، يفرح برُخص الأسعار ، وإن كان في ذلك بعض الضرر بتجارته^(٢).

(١) رواه ابن أبي شيبة في الفتن (٣٨٥٤٥) .

(٢) راجع ما ذكرناه في كتابنا : (دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي) فصل : القيم والأخلاق في مجال التداول ، طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة .

على المسلم أن ينصح في معاملته ولا يغش ، فإن النبي ﷺ ، مرَّ على صُبْرَة طعام ؛ فأدخل يده فيها فنال أصابعه بللاً ، فقال : « ما هذا ، يا صاحب الطعام؟ » . قال : أصابته السماء . فقال : « أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟! من غش فليس مني »^(١) .

وأوجب ﷺ على كل بائع أن يُبين ما في سلعته من عيب . . . ولا يكتُمها ولا يغش المسلمين ، كما في حديث وأثله بن الأَسْقَع : « لا يحل لأحد يبيع شيئاً إلا بيّن ما فيه ، ولا يحل لمن علم ذلك إلا بيّنه »^(٢) .

وهكذا كان السلف :

باع ابن سيرين شاة له ، فقال للمشتري : اسمع يا فلان ! إني أبرأ إليك من عيب فيها ، إنها تقلب العلف برجلها^(٣) .

وباع الحسن بن صالح جارية له ، فقال للمشتري : أذكر لك شيئاً ، إن هذه الجارية تَنَحَّمَت مرة عندنا دماً^(٤) .

مرة واحدة طيلة إقامتها عنده تنخمت دماً ، ومع هذا أباي ضميره المؤمن وقلبه المسلم إلا أن يذكر ذلك ويبيّنه ، ليبرأ من العهدة ، ويكون ناصحاً للمسلمين .

وقد روي عن النبي ﷺ قوله : « مَنْ لم يهتم بأمر المسلمين ، فليس منهم ، ومَنْ لم يصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه وإمامه ولعمامة المسلمين فليس منهم »^(٥) ،

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠٢) ، وأحمد (٧٢٩٢) ، وأبو داود في الإجارة (٣٤٥٢) ، والترمذي في البيوع (١٣١٥) ، وابن ماجه في الإجازات (٢٢٢٤) .

(٢) رواه أحمد (١٦٠١٣) ، وقال محققوه : إسناده ضعيف لجهالة أبي سباع ، والطبراني في الكبير (٩١/٢٢) ، والحاكم في (١٢/٢) ، وصحح إسناده ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الكبرى (٣٢٠/٥) ، كلاهما في البيوع ، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (١٧٧٤) ، وانظر : المنتقى (٩٩٢) .

(٣) إحياء علوم الدين (٧٧/٢) .

(٥) رواه الطبراني في الصغير (٩٠٧) ، والأوسط (٧٤٧٣) ، عن حذيفة بن اليمان ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي ضعفه محمد بن حميد ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان (٢٦٤/١) ، وانظر : المنتقى (٩٩٧) .

أي : ليس على طريقتهم ، وليس على ملتهم ، ولا يستحق أن يكون من جملة المسلمين .

ومما يذكر هنا أن يونس بن عبيد ، وكان تاجراً قد ترك ابن أخيه في الدكان وذهب إلى الصلاة ، ثم عاد فوجد رجلاً قد اشترى ثوباً من دكانه ، فسأله يونس : بكم اشتريته ؟ قال : اشتريته بأربعمائة . فقال له : لا ، هذا من ذوات المائتين ، ارجع معي . قال : يا هذا ، إنها عندنا تساوي خمسمائة . فقال : لا ، ولكننا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا ، هذه نبيعها بمائتين ، عدُ معي إلى الدكان . فقال : أنا راضٍ . قال : وإن كنتَ راضياً . ثم عادا إلى الدكان ، وذهب يونس إلى ابن أخيه وظلَّ يُوبِّخه ويُعنفه ويقول له : أما اتقيتَ الله؟ أما استحيتَ من الله ؟ تبيع نصف الثمن وتترك النصح للمسلمين؟ والله ، للنصح لمسلم خير من الدنيا وما فيها . ثم أعطى الرجل المائتين فرق ما بين الثمنين ، ورضيتُ نفسه^(١) .

وكان بعض السلف واسمه حسان بن أبي سنان ، من الورعين ، وكانت له تجارة . أرسل إليه غلامه من الأهواز يقول له : إنَّ قصب السكر عندنا قد أصابته آفة ، فاشتر ما شئتَ من السكر عندك . وذلك لأنَّ تلف المحصول سيؤدِّي إلى ارتفاع الأسعار . . .

فذهب حسان إلى بعض المنتجين ، واشترى منه قدرًا كبيراً من السكر ، فلم يلبث أن ارتفع السعر ، وباع الرجل هذا السكر بثمن غالٍ ، وكسب فيه ثلاثين ألفاً . ثم عاد إليه ضميره ، واستيقظ إيمانه ، فذهب للرجل الذي اشترى منه السكر وقال له : إنَّ غلاماً لي كان قد أبلغني بكيت . . . وكيت . . . وإني اشتريت منك ولم أعلمك بما حدث ، فقد غششتك ولم أنصح لك . فقال : الآن قد أعلمتني ، وقد بعثك بسعر يومها ، ولم أخسر شيئاً ، وقد طيَّبته لك ، فاذهب به . فعاد الرجل بعد أن رضي صاحبه ، ولم يلبث قليلاً حتى أكله قلبه ولم يحتمل ذلك ، فعاد إليه مرة أخرى وقال : يا هذا ، إني لم آتِ هذا الأمر من وجهه ، ولكنني جرتُ عليك

(١) إحياء علوم الدين (٢/٧٩) .

ولم أنصح لك ، فناشدتُك الله إلا قبلتَ هذا الأمر ، ورددتُ عليك الريح . وظلَّ به حتى ردَّ عليه الثلاثين ألفاً التي ربحها . . . وعاد يقول وهو مرتاح القلب رضي النفس : الحمد لله الذي أنقذني من النار^(١) .

هكذا كان السلف ينصح بعضهم لبعض .
فالنصيحة هي الدين . . .

وخصوصاً إذا استشارك مسلم ، يقول النبي ﷺ : « وإذا استصحك فانصح له »^(٢) . قل له الحق ، وأرشده إلى ما ترى أنه خير ، ولا تخش لومة لائم .
خَفِ الله فيه ، ولا تَخَفْه ولا غيره في الله .

من أنصح الناس لك ؟

يقول السلف : أنصحُ الناس لك مَنْ خشي الله فيك^(٣) .
ليس الناصح لك هو الذي يُدَلِّلك ويمدُّ لك في الحبل ، ويُطَمِعُك في كل شيء ، ويحاول أن يتملِّقك ، ويسترضيك ، فليس هذا هو الناصح . . . بل الناصح لك حقاً هو الذي يدُلُّك على الله ، ويرشدك إلى طريق الآخرة ، ويأخذ بيدك إلى الصراط المستقيم ، ويحذرك من طريق الشر ، ومن معصية الله ، ولو كان في ذلك ضيق لك ، أو سخط لك في بعض الأحوال .
أنصحُ الناس لك مَنْ خشي الله فيك .

دخل بعض العلماء على بعض الأمراء فنصح له ، فشددَّ عليه . فقال له بعض جلسائه : شددت على الأمير . فقال : لأن أنصحته حتى أبكيه اليوم ويضحك عند الله غداً ، خير من أن يضحك اليوم ويبكي عند الله غداً .

* * *

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١١٨/٣) ، وابن أبي الدنيا في الورع (١٠٥/١) ، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ١١٠ .

(٢) رواه مسلم في السلام (٢١٦٢) ، وأحمد (٨٨٤٥) ، عن أبي هريرة .

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٨٢ .